الكتابة التاريخية وتحقيق التراث المخطوط عند العلامة الجزائري "محمد بن أبي شنب"

د. موسى هيصام
جامعة " يحيى فارس" بالمـديـة - الجمهورية الجزائرية

يعتبر الدكتور محمد بن أبي شنب (١٢٨٦- ١٣٧٤ هـ/ ١٨٦٩-١٩٢٩م) [١]، واحدا من المفكرين الأفذاذ الذين أنجبتهم الجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، إذ لم تقتصر شهرته على هذا القطر وحده، بل تعدته إلى خارج الجزائر، بتحوله إلى مؤلف عالمي، بما أتقنه من لغات عدة، وما تحكم فيه من علوم مختلفة، ومشاركته في مؤتمرات علمية عالمية، وكتابته في أرقى الدوريات والموسوعات، وطبعه لمصنفاته وما حققه من مخطوطات، في أشهر دور النشر المحلية والدولية آنذاك، على غرار ما أصدره من مقالات في دائرة المعارف الإسلامية، والتي شملت المجالات والفنون المختلفة، خاصة اللغة والأدب وهو مجال تخصصه العلمي، والذي أهله لانتخابه عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وكذا المجمع العلمي الفرنسي – الاستعماري – بباريس Académie du Sciences Coloniales De Paris ، وخاض العلامة بن أبي شنب في فن التاريخ وتحقيق المخطوط، سواء ما ألف منها في العهد الوسيط، أو العصور الحديثة والمعاصرة.

ومما لا شك فيه أن شخصية بهذا الحجم انطلاقا من صورته التي اعتدنا رؤيتها له بلباسه الجزائري الأصيل، تمثل أكثر دلالة على أن الرجل بهندامه المتميز، وبامتلاكه لناصية لغات متعددة، أهلته للخوض في تخصصات وفنون شتى، وبفطنته وملكته، استطاع أن ينفذّ ويتحرك بها بين الأوساط والهيئات والمؤسسات الاستعمارية المختلف.

ويخال لي أن الرجل اتخذ لنفسه طريقة خاصة في مقاومة أساليب السياسة الاستعمارية، فكان توجهه نحو تحقيق وإحياء التراث التاريخي للأمة، بأبعادها المختلفة الجزائرية والمغاربية،والعربية والإسلامية، وجعلها وسيلة لتمييز الذات

الجزائرية، والتعريف بخصوصية انتمائها، المختلفة جذريا عن الذات الغربية.

ففي الوقت الذي كان غيره من بني جلدته ينكر وجود الأمة الجزائرية وامتدادها الضارب في التاريخ، راح العلامة الدكتور محمد بن أبي شنب يستنطق الموروث التاريخي لأمته، مستدلا في ذلك برصيد وتراث الحضارة الجزائرية العريقة وغيرها، بأبعادها المتنوعة، ووظفها ليقول للآخر أنني هاهنا من بين أفراد هذا الشعب، الذي أردتم طمس شخصيته، وسلب كيانه وهويته، حيث دأب على التعريف بالتراث الثقافي الجزائري خصوصا، والمغاربي عموما، فقدرت أعماله بخمسة وستين عنوانا، فضلا عن المقالات المنشورة في مجلات عربية وفرنسية وألمانية وإيطالية، وتحقيقاته لنصوص عربية وإسلامية مختلفة ومنها التاريخية، رغم أن الآخرين ناقضوا هذا الرأي، واعتبروا أن العلامة خدم الإستشراق والثقافة الفرنسية أكثر من خدمته للتوجه الوطني والقومي للأمة بأبعادها المختلفة[٢].

فكان من الواجب على المشتغلين في حقل الدراسات التاريخية، تسليط الضوء على أعماله التي ارتبطت بهذا الجانب، فجاءت مساهمتي هذه، محاولة لإبراز اهتمامات الدكتور محمد بن أبي شنب بهذا العلم أو الفن، وذلك بتقديم نماذج عن اهتماماته وكتاباته، ومنهجه في عرض المادة التاريخية، مستخلصا في الوقت نفسه مدى استفادة الباحثين المتخصصين من رصيده المدوّن.

نظر ابن أبي شنب إلى التاريخ نظرة العلامة ابن خلدون، باعتباره فناً كثير الفوائد، يوقف الباحث عند أحوال الماضين من الأمم، ويقود إلى الاقتداء بهم، وأخذ العبر من سيرهم، وتوجيه الأمة للاعتزاز بتراثها، والتعريف بحضارتها وعمرانها، وتميزها عن غيرها[٣].

أولا:

اهتم العلامة محمد بن أبي شنب بتحقيق الكتب التاريخية التراثية الجزائرية، ومنها: كتاب أبي العباس أحمد الغبريني[٤]، الموسوم بـ "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" [٥]، والذي طبعه بالمطبعة الثعالبية بالجزائر سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، مبررا أهميته في المقدمة التي خصّ بها الكتاب بالقول:"أورد فيه مؤلفه في تراجم علماء عصره، وأخبار مصدره، ما يحتاجه المتشوق إلى فرائد الفوائد، والمتشوق إلى أوابد العوائد، مع ذكر مؤلفاتهم وسيرهم في مذاهبهم وعاداتهم...الخ[٦].

وعمل في إنجازه لهذا العمل على المقارنة بين نسخ عدة، جمعها بين يديه عند مباشرته لتحقيقه هذا الكتاب، متخذا التوثيق والأمانة العلمية (الإحالة) وسيله لذلك، حيث اعتمد على نسخة أصلية كانت موجودة في المكتبة الوطنية الجزائرية، ونسخ ثلاثة أخرى خاصة :

- واحدة للفقيه عبد الرزاق الأشرف قاضي باتنة (محافظة جزائرية) آنذاك.
- والثانية لعلي بن حاج موسى الإمام بمسجد عبد الرحمان الثعالبي (أين يوجد ضريحه) بالجزائر العاصمة.
- والثالثة للأديب أبي القاسم محمد الحنفاوي المدرس بالمسجد الكبير(بساحة الشهداء)–بالجزائر العاصمة– حينها.

واعتبر بعض الباحثين والمحققين لنفس المصدر، أن النسخة التي أنجزها ابن أبي شنب عدت بمثابة نسخة أصلية، استنادا إلى شكل إخراجها، وقدرة محققها على التمحيص والتنقيب والدقة في تثبيت المادة التاريخية التي أوردها وتميز بها[٧].

والمصدر المذكور ألفه صاحبه ما بين ٦٦٩–٦٩٩هـ/١٢٧٠–١٢٩٩م، بغرض التعريف برجال السند والترجمة لهم، حتى تكون سيرهم ومزاياهم العلمية

ذات فائدة بالنسبة للمتلقين لهذا المصنّف.

أما عن منهجية التأليف التي اعتمدها صاحبه، فتمثلت في حصره وترجمته لمشاهير المائه السابعة من علماء بجاية، من سكانها الأصليين أو الوافدين على المدينة، فبلغ عدد الشخصيات التي ترجم لها بمائة وتسعة وأربعين(١٤٩) شخصية قسمت كالتالي:

- تراجم البجائيين والجزائريين ومن يتصل بهم.
- تراجم الأندلسيين الذين حلوا ببجاية ونواحيها (المهاجرين).
- تراجم الوافدين عليها من بلاد المشرق[٨].

وبالموازاة مع هذه التراجم أشار ابن أبي شنب للأهمية التاريخية والقيمة العلمية لهذا المصدر، بتتبع واقع الحياة الاجتماعية بالمدينة في القرن السابع الهجري، وكذا الأحداث السياسية التي ميزت حاضرة بجاية آنذاك، إذ مثلت منطقة استقطاب مركزية للعلماء والتجار، كما استهوت بالمقابل الغزاة، فكان نشاط أسطولها البحري عاملا بارزا في تفعيل الحركية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع البجائي، وخاصة إبراز دور الأسرى في التأثر والتأثير في البيئة الجديدة للمنطقة.

كما أرخ المصدر لبداية فترة الانحطاط بالمغرب الإسلامي، على غرار ما شهده المشرق، فقد أهمل سكان بجاية اهتمامهم بالعلوم الرياضية التي ذاع صيت المدينة بها في فترات سابقة لهذا العهد، ومالوا للاعتقاد بالكرامات، وخوارق العادات، وظهور المتصوفة الذين أصبحوا يجمّعون أتباعهم، ويسافرون من مكان لآخر، بحثا عن العزلة لتجسيد المعاني السامية للعبادة في نظرهم.

أما عرضه للكتاب، فتم بتحديد فهرس خاص بالتراجم، وآخر بالمطبوعات، محددا صفحاتها حسب ترتيب الحروف الهجائية[٩] .

أما الكتاب التاريخي الثاني الموسوم بـ: "الذخيرة السنية في تأريخ الدولة المرينية"، فطبع بمطبعة "جول كربونل" بساحة الدولة – الجزائر – سنة ١٣٣٩هـ /١٩٦٠م، ويقع في مائتين وخمسة وثلاثين (٢٣٥) صفحة، تدرج فيه مؤلفه من مقدمة، بدأها بالدعوة إلى نصرة أمير الدولة المرينية "أبو سعيد يعقوب بن عبد الحق"، شارحا أسباب تصنيفه له، والمتمثلة في التأريخ لأيام الدولة المرينية وما وقع فيها من الحوادث والفتوح، مستندا في ذلك إلى أهل العلم والمشايخ الثقاة العارفين بالأنساب(١٠).

ليتدرج بعدها بتقسيم مؤلفه إلى عشرة أبواب، خصّ كل باب منها بالأحداث التي عاصرها كل أمير حكم الدولة المرينية على حده.

وقد اعتمد الدكتور ابن أبي شنب في تحقيقه لهذا المصنف التراثي على الطريقة العلمية الأكاديمية، بتوظيف التهميش (الإحالة) أداة لتوضيح الكلمات الغامضة الواردة في النص الأصلي، مستعينا أحيانا باللغة الفرنسية لشرح المعاني المختلفة(١١)، وبدمجها بالطريقة التقليدية في سرد الأحداث الكرونولوجية، ومنها أحداث سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م، بسرد وفيات بعض الفقهاء والعمال ...إلخ(١٢)، على سبيل المثال لا الحصر.

وعمل ابن أبي شنب على إنجاز فهرس ضمنه أبواب الكتاب محددا صفحاته، وفهرسة لأسماء الرجال والنساء والقبائل التي احتواها المصنّف، ثم رتبها حسب الحروف الأبجدية، متبوعا بفهرس للأماكن، ثم ذيله بالبيبليوغرافيا التي اعتمدها في توثيق التحقيق والتعليق عليه، موظفا تخصصه الأدبي ليضفي لمسة خاصة عليه، بإدراجه ضبطاً خاصا بالأبيات الشعرية الواردة في النص الأصلي، مع تحديده لأنواع بحور الشعر التي نظمت بها أبيات تلك القصائد(١٣).

وعليه من خلال الإطلاع على أصل هذا التحقيق تبين لنا التزام الدكتور بن شنب بالطابع الأكاديمي لمدارس البحث العلمي الحديثة، مع مزاوجتها بأسلوب المدرسة الإسلامية الكلاسيكية، في تخريج محتويات هذه المصنفات التاريخية.

كما حقق مصادر تاريخية أخرى منها: كتاب: "طبقات علماء إفريقية وتونس" لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت.٣٣٣هـ/٩٤٤م)، وذلك سنة ١٩١٤م، وقام بترجمته إلى اللغة الفرنسية سنة ١٩٢٠م ، وقد أشاد بأهمية هذا الإنجاز محققين آخرين لنفس المصدر، منهم "علي الشابي" الذي أجزم أنه بحث عن المخطوط الأصلي وعن غيره، ولم يوفق إلى ذلك، فكان اعتماده على النسخة التي حققها وترجمها وطبعها ابن أبي شنب، فاعتبرها بمثابة نسخة تغنيه عن النسخة الأصلية[١٤]، وهي شهادة من باحث معاصر عرف بتميزه وجديته.

وأنجز أيضا أعمالا بيبليوغرافية متميزة لم يسبقه إليها غيره، منها تصنيفه للوثائق والمخطوطات العربية وفهرستها، سنة ١٩٠٥م، فكان من أكبر تصنيفاته العلمية على الإطلاق وقد عنونه بـ : "فهرس المخطوطات العربية التابعة للجامع الكبير في الجزائر".

كما فرض طريقته المنهجية الخاصة في تكوين وتدريب طلبته بجامعة الجزائر، على توظيف الاختصارات التي استعملها المؤلفون العرب، وجعل في متناولهم قائمة خاصة بذلك[١٥].

وبناء على نشاطه الدؤوب وفعاليته المتميزة، تمكن من نشر بحوث متميزة مساهماً بذلك في خدمة الدراسات العربية الإسلامية، وفي إنجاز الأعمال الجادة، التي شهد له بها القاصي والداني، من الكتاب العرب والمستشرقين[١٦].

ثانيا :

ساهم في التعريف بالتراث الجزائري في الموسوعات العربية والإسلامية بمادة علمية غزيرة عن تاريخ الجزائر الوسيط، ومنها ما كتبه عن مدينة "آشير"[١٧] في "دائرة المعارف الإسلامية" [١٨] (Encyclopédie de L'Islam)، معرفا في البداية بموقع المدينة جغرافيا وفلكيا، وبأهمية التضاريس المعقدة المحيطة بها، مما منحها حسبه تحصينا طبيعيا متميزا، جعلها في منأى عن هجمات كل من يتطلع لاقتحامها، أو النيل من دفاعاتها.

ففي وصفه لها بالدقة المتناهية، يخال إليك أنها لا تزال عامرة تنبض بالحياة، وأرجّح أن يكون الرجل قد زار أطلال المدينة عندما كلف من قبل زملائه أساتذة جامعة الجزائر آنذاك بإنجاز هذا البحث (مادة آشير)، ومن جهة أخرى تعبر عن مدى قدرته العلمية على استنطاق المصادر التاريخية المتعددة من كتب الرحالة والجغرافيين، وكذا كتابات المستشررقين، ومعرفته بعلم الآثار وأدواته، والتي أرخت لتاريخ الدولتين الزيرية والحمادية عموما، ولتاريخ مدينة "آشير" خصوصا.

كما نكتشف من المادة التي قدمها قدرته على توظيف أليات وتقنيات البحث العلمي، من خلال التوثيق للببليوغرافيا التي اعتمد عليها في إعداد مادته العلمية، وكذا الإحالة على الصفحات التي اقتبس منها، وهو ما يثبت حرص الرجل على إبراز تاريخ مسقط رأسه مدينة المدية، باعتبار بلدية الكاف لخضر الفضاء الذي يستوعب أطلال مدينة "آشير" الأثرية، التي تعد إحدى المناطق التابعة لها من جهة ، ومن جهة ثانية خدمته لتاريخ الجزائر ببعديه العربي والإسلامي.

كما تبرز قدرة هذا العالم الموسوعة في تعامله مع مختلف الروافد العلمية التي نهل منها ووظفها في تنمية إنجازاته العلمية، فعدّ بذلك من الباحثين الذين لا يعترفون بأن للعلم والمعرفة وطن أو جنسية ، فأسس بذلك لتنوع الثقافات وتكاملها، ولدور العرب البارز في بناء الحضارة الإنسانية، حيث وقف الند للند أمام نظرائه من الفرنسيين، ومعظم المستشرقين.

ثالثا :

نشاطه العلمي التاريخي الذي ساهم به في أعداد متنوعة من المجلة الإفريقية التي كانت تصدرها "الجمعية التاريخية الجزائرية"، بإشراف ومساهمة كبار المستشرقين الذين اهتموا بدراسة وتتبع التراث الجزائري والمغاربي ، أمثال ليفي بروفنسال، رونيه باسيه، فنسنك، وكان ابن أبي شنب عالما إلى جانبهم، خدم التراث العربي والإسلامي بطريقته الخاصة، موظفا المكانة العلمية والأكاديمية التي تبوأها بينهم، ومستغلا وسيلة المجلة كأداة لنشر هذا التراث والتعريف به .

ومنها ما تناوله في العدد ٥٠ الصادر سنة ١٩٠٦ بمقال عنونه بـ" مجلة الأعمال العربية " الإصدارات الإسلامية (مابين ١٣٢٣ هـ/١٩٠٤-١٩٠٥م) ، معرفا بمواضيعهاوكتابها، معقبا بالتحليل والنقد على مختلف المصنفات التاريخية، ومنها كتاب " الإمامة والسياسة" لأبي محمد عبد الله بن قتيبة، في مجلد واحد احتوى ٣٣٦ صفحة، صادر في القاهرة سنة ١٣٢٢هـ /١٩٠٤م، بمراجعة وتحقيق محمد محمود الريفي.

فعمل ابن شنب على التعريف بالكتاب الذي تناول فترة الخلفاء منذ وفاة الرسول ﷺ حتى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد[١٩]، مع إشارته إلى دور بعض المستشرقين في دراسة وتحقيق نفس المصدر، ومنهم المستشرق دوزي

Dozy الذي شكك في نسبة هذا الكتاب لنفس المؤلف، مستدلا بأسلوب ابن قتيبة عند صياغته لمصنفه، ونوعية خطه، وهنا يرجح ابن أبي شنب، أن هذا الأخير يكون قد ألف كتابا بنفس العنوان لم يصلنا – ربما يكون مفقودا – ولتشابه العنوانين نسب لابن قتيبة الدينوري.

وفي نفس العدد خصّ كتابين من تأليف " جرجي زيدان" بالدراسة والنقد.

أولهما: الموسوم بـ"تاريخ اللغة العربية "، الذي أثبت فيه صاحبه حيوية اللغة العربية، وقدرتها على التفاعل مع الأنماط المتعددة للعلوم، فهي تخضع حسبه كغيرها من اللغات لنفس الآليات التقنية والمعايير، مدعماً رأيه هذا بكونها غنية بالكلمات والتعابير، التي تعود إلى ما قبل الإسلام، وأخرى للفترة الإسلامية، وبكلمات دخيلة عليها من عبرية ومسيحية، تجمع بين الإدارية العلمية والتقنية، ومواكبتها أيضا لحركة النهضة التي شهدها المشرق العربي منذ القرن التاسع عشر(٢٠).

وثانيهما: المشهور بـ "تاريخ التمدن الإسلامي"، الصادر بالقاهرة في ثلاثة أجزاء (الأول سنة ١٩٠٢، الثاني ١٩٠٣، الثالث ١٩٠٤) على التوالي، وهو عمل فريد من نوعه في مجال اهتمامه، إذ انفرد عن باقي المشارقة المعاصرين له، أو الكتاب القدامى أمثال ابن الأثير والماوردي والمقريزي والمسعودي وابن خلكان...الخ، بالطرح الجريء، وباستثماره لأعمال المستشرقين في نفس الميدان أمثال قيبون Gibonn ، وكلوت باي Clot Bey...إلخ.

وقد ضمن الجزء الأول منه: أوضاع شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام والدول التي قامت بها، معرجا على اعتناق سكانها للإسلام تدريجيا مقارنا بين واقع العرب آنذاك ، وواقع جيرانهم من الفرس والروم، مظهرا مجال التمدن الذي شهدته الدول الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين من تنظيم للإدارة والجيش

ونظام التسليح،ومدى الانضباط الذي تميز به الجنود،مرورا بالنظام الماليو القضاءي،والسكة والبريد...الخ.

وتناول في الجزء الثاني: ثروات العامة في الدولة الإسلامية،وتوسع رقعتها وطبيعة النشاط الاقتصادي الذي ميزها وموارد بيت المال بها. محددا في خاتمته أسباب انحطاط الدولة العباسية ومظاهر ذلك (ازدياد حجم الضرائب الداخلية...الخ).

أما الجزء الثالث: فعالج فيه مطولا المعارف العربية قبل الاسلام وبعده، والتواصل الثقافي بين اللغة العربية واللغات الأجنبية، ومختلف التحولات التي أحدثها الإسلام، في طريقة التفكير والإنتاج الأدبي والعلمي في نفس الفترة.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة النقدية التي قام بها العلامة ابن أبي شنب، في دحض الكثير من الطروحات الواردة في هذا التأليف، اعتمادا على أدلة علمية وتاريخية، منها معالجته لفكرة أن الاسلام يمثل مرحلة من مراحل تطور العرب في التاريخ، في حين يرجعها الناقد إلى طبيعة الإسلام كرسالة ربانية، وبدور الرسول ﷺ وفعاليته، وإلى النقلة النوعية التي أحدثها في نفوس العرب، متأثرين في ذللك بالقيم السامية لهذا الدين.

ومن جهة أخرى يرد علميا على نفس الكاتب في ربطه لحادثة "حرق مكتبة الإسكندرية" بالعرب، مستشهدا بما ذكره "عبد اللطيف البغدادي" في كتابه" تاريخ الطب".

ويرد عليه ابن أبي شنب بقوله: إذا حققنا في هذه الأدلة غير المقنعة تماما، فإننا نجزم أن لغز المكتبة سيبقى غامضا إلى الأبد، ما لم تثبت الأدلة المادية عكس ذلك"[٢١].

وسار العلامـة ابن أبي شنب على نفس النسق في أغلب المقالات التي

شارك بهـا في المجلـة الإفريقيـــة La Revue Africaine الصادرة عن الجمعية التاريخية الجزائرية حينها، ومنها العدد(٦٢) الصادر سنة ١٩٢١، والعدد(٦٣)الصادر سنة ١٩٢٢، حيث نشر بالتقديم والتعريف تلخيصا لما يربو عن المائة والسبعين كتابا تراثيا في جميع العلوم والفنون، وفي كل دراسة على حدة يقوم بالنقد العلمي لهذه المؤلفات بل ويستنبط منهجية الكتابة عند المؤلفين المسلمين، ومنها المؤلف المشهور " أزهار الرياض في أخبار عياض"، لصاحبه ابن محمد شهاب الدين المقري[٢٢]، وهو من المصادر النادرة حسب ابن أبي شنب، حيث على عهده وجدت نسخة واحدة بالمكتبة الوطنية بباريس، وأخرى بجامع الزيتونة بتونس، وهو ما يبرز أهمية هذه الدراسة وأهميتها، والتي تمس مثل هذه المؤلفات النادرة، بل الأفيد منه إنارة طريق الباحث بآليات جديدة في البحث والاستفادة من محتويات كتب التراث التاريخية، حيث يذكر في خاتمة عرضه لهذا المصدر فيقول:"من خلال قراءتي لكتاب "أزهار الرياض" تبين لي أنه عبارة عن ملخص لكتاب" نفح الطيب في غض الأندلس الرطيب" لنفس المؤلف، ويستنتج الأهمية القصوى لمثل هذه الملخصات في توظيفها واعتبارها ذات فائدة جمة لكسب الوقت، في ظل الأعمال المطولة التي تميز كتابات المؤلفين المسلمين غالبا"[٢٣].

رابعا:

أرخ ابن شنب للتراث الجزائري وللحركة العلمية المغاربية على عهده، وأمثلة ذلك تعريفه باللباس التقليدي الجزائري الأصيل، بمقال تناول فيه أصول كلمة"شاشية"[٢٤]. ومجال استعمال هذا النوع من اللباس الذي تميز به سكان شمال افريقيا وسوريا وتركيا، ودعم مقاله بما كتبته المصادر الاسلامية عنها على غرار البكري في كتابه" معجم ما استعجم"، وياقوت الحموي في

كتابه"معجم البلدان"، وكذا ما قام به بعض المستشرقين من دراسة لنفس الموضوع، من أمثال: دوساكيDe Saki، ودوزي Dozy، وهنا تتأكد قدرة بن أبي شنب المتميزة على توظيف تقنيات البحث العلمي، وبدعم ما يطرحه من آراء عملية بالدليل والتوثيق فيما يعرف اليوم بمصطلح الأمانة العلمية.

وفي مقام آخر عرّف بالحركة العلمية للزوايا، ونشاطاتها المختلفة ضاربا أمثلة عن بعض ما أشتهر منها بالمغرب الأقصى، بناء على نقل أحد المستشرقين، يدعى دوتي Edmend Doutté لمخطوطين خاصين بها للجزائر، فقام ابن أبي شنب بالتعريف بهما وبمحتواهما، من أعلام لشيوخ الزاوية ومريديها[٢٥]، فساهم بذلك في نشر التراث المغاربي عموما، بعمل ينّم عن أهداف بعيدة المدى، كان العلامة يرمي إلى تحقيقها، وهو ما يعبر عن فاعليته العلمية، التي جعلته لا يكلّ ولا يملّ في البحث والتنقيب عن تراث أمته الذي أهمل خلال فترة الانحطاط، أو عملت الحركة الاستعمارية على طمسه للحيلولة دون توظيفه بشكل ايجابي، بما يخدمها في بناء نهضتها، وتجديد حياتها، فبقي مواظبا على الإنتاج العلمي الغزير، إلى أن وافته المنية سنة ١٩٢٩، بعد أن أثرى المكتبة العربية الإسلامية بالتأليف المختلفة، والتحقيقات المتنوعة، فقدم للباحثين بذلك رصيدا معتبرا من الأعمال الراقية، وخاصة للمؤرخ الجزائري خصوصا، والمغاربي عموما، ينهلون اليوم بما جادت به قريحة الرجل الموسوعة من علوم معارف.

وواجب الباحثين الوفاء لهذا الرجل، فأقل ما يقدمونه له، هو إماطة اللثام عن مخزونه العلمي وتوظيفه علميا وعمليا بحتا، بعيدا عن المواقف الشخصية، وتأثيرات الخلفيات السياسية، التي كثيرا ما تسقط انجازات الرجال، من أمثال العلامة محمد بن أبي شنب الذي جمع بين مختلف العلوم والفنون، وخدم الثقافة

العربية الإسلامية بكل ما أوتي من جهد وعطاء، وما شهادة واحد من غير بني جلدته، إلا لمعرفة العدو قبل الصديق لفضله وحجم اسهاماته، حيث قال في حقه المستشرق الفرنسي: "ألفريد بل" "استمر بن أبي شنب ينشر المؤلفات بنشاط حثيث، ومعرفة فريدة، إذ نشر بحوثا ودراسات رائدة، ونصوصا عربية، وترجمات مشهورة حول موضوعات مختلفة، مسهماً بذلك إسهاما هاماً في أعمال المدرسة الجزائرية للدراسات العربية والإسلامية"[٢٦].

فرحم الله الرجل الذي أفاد الجزائر والعالم بكنوز علمه، وكبير عطائه، وجعله قدوة لكل مثقف وعالم.

الإحالات:

[1] – هو محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب، ينسب إلى أسرة عريقة، ولد بمنطقة تسمى المدية(محافظة جزائرية تقع باتجاه الجنوب، تبعد عن العاصمة بنحو ٩٠كلم)، حفظ قسطا من القرآن الكريم، ثم تدرج في المدارس والثانويات التي أنشأتها فرنسا الاستعمارية بها، لينتقل بعدها إلى مدرسة المعلمين، حيث حصل منها على إجازة للمارسة التعليم في المدارس الإبتدائية، ثم اكمل دراسته العليا ليتدرج في مستويات جامعية حتى حصوله على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٢٢، بأطروحة عنونها بـ:" الشاعر أبو دلامة حياته وشعره"، ليعين بصفة رسمية أستاذا بكلية الآداب بجامعة الجزائر التي أنشئت سنة ١٩٠٩، كان يحسن ما يزيد عن سبع لغات إلى جانب لغته الأم العربية، عين عضوا في عديد المجامع والنوادي على غرار مجمع اللغة العربية بدمشق، وأكاديمية العلوم الفرنسية، وعضو تحرير المجلة الإفريقية، والمجلة الأسيوية ..إلخ، شارك في عديد المؤتمرات الإستشراقية، مثل: المؤتمر الـ ١٤ للمستشرقين المنعقد بالجزائر سنة ١٩٠٥، ومؤتمر أكسفورد سنة ١٩٢٨، قدم فيها أبحاثا تعرّف بالتراث العربي الإسلامي، حقق ونشر مؤلفات عدة، شملت علوما شتى منها: " رسالة في المنطق"، " الأ لفاظ التركية والفارسية المستعملة في اللهجة الجزائرية – باللغة الفرنسية– " أمثال الجزائر والمغرب"، " تجبير الموشين" للفيروز أبادي، وغيرها من المصنفات التي ترد في ثنايا مقالنا هذا. للمزيد عنه: أنظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، الجزائر، ط١٩٨٣، ص ١٤ وما بعدها؛ علي تابليت والطيب ولد العروسي، محمد بن أبي شنب، أعماله وآثاره، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ط٢٠١٠، ص ٧ وما بعده، الطيب ولد العروسي، محمد بن أبي شنب – دراسات وشهادات – منشورات مديرية الثقافة بالمدية، الجزائر، ط٢٠٠٩، ص ٣١ وما بعدها، أبو عمران الشيخ وأخرون، معجم مشاهير المغاربة، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، الجزائر، ط١٩٩٥، ص ٣٠٧.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، " من رسائل محمد بن أبي شنب إلى محمد كرد على "، مجلة الثقافة ، العدد ٥٣ سبتمبر – أكتوبر ١٩٧٩، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ص ٤٥؛ الرشيد ابن أبي شنب " تعقيب على مقال حول العلامة الفقيد محمد ابن أبي شنب "،

مجلة الثقافة – العدد ٦٥، سبتمبر – أكتوبر ١٩٨٩، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر، ص ص ٧٧، ٧٨.

[٣] – عبد الرحمان ابن خلدون – المقدمة– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مج١، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ط٢ ، ١٩٧٩، ص ١٢.

[٤] – هو أحمد ابن أحمد بن عبد الله بن علي أبو العباس ، الملقب الغبريني ، نسبة إلى بن غبري بطن من قبائل الأمازيغ (البربر) من منطقة وادي سيباو بالمغرب الأوسط (٦٤٤–٧٠٤هـ/١٢٤٦–١٣٠٤م) قاض ومؤرخ، كتب في مجالات العلوم العقلية والنقلية، تنقل بين مناطق المغرب الإسلامي المختلفة، خاصة بين بجاية وتونس، وكذا بينه وبين بلاد الأندلس، درس على نحو سبعين من علماء بجاية ومشايخها، وبخاصة أصول المذهب المالكي، ألف كتباً عدة منها: " المورد الصافي" والفصول الجامعة وأهمها على الإطلاق، مصنفه محل الدراسة (عنوان الدراية)،الذي حققه محمد بن أبي شنب ونشره في مدينة الجزائر سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩١٠م، وحققه ثانية عادل نويهض ونشره في بيروت سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، وحققه مرة ثالثة رابح بونار ونشره في الجزائر سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، عنه أنظر: أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢٠٠٧، ص٥ ؛ أبو العباس أحمد بن حسن الشهير بابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ص٣٤٠،٣٣٨.

[٥] – عرفت بالناصرية ، نسبة لمؤسسها الناصر بن علناس الذي مصرها سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م، بنيت على سفح جبل شاهق، منفتحة على –بحر الروم – البحر المتوسط – مما جعلها محصنة طبيعيا، اعتمدت عاصمة ثانية لدولة بني حماد(٤٠٥–٥٤٧هـ/١٠١٤–١١٥٣م)، عدت

المدينة واجهة للتبادل التجاري والحضاري بين ضفتي المتوسط الجنوبية والشمالية، أشتهر فيها الكثير من العلماء والفقهاء، أمثال العالم الزاهد أبي مدين شعيب، وابن حماد الصنهاجي صاحب كتاب:" النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة"، للمزيد عنها أنظر:

ياقوت الحموي، كتاب معجم البلدان، أسدي، طهران، إيران،ط١٩٦٥، ص٤٩٥؛ عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، ١٩٨٠، ص ص ٨٠،٨١؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤،تحقيق: محمد جابر عبد العالي، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، مصر، ط١٩٨٤، ص ٢٢٤؛ موسى لقبال، " ملاحظات عن ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط"، مقال " مجلة الأصالة"، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، العدد: ١٩، مارس – أفريل ١٩٧٤، ص ٥ وما بعدها.

[٦] – أنظر المحتوى الكامل للمقدمة في كتاب : أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق محمد بن أبي شنب الطبعة الثعالبية، الجزائر، ط١٣٢٨هـ/١٩٠١م.

[٧] – أنظر أبو سعد العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية ضمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١، ص ٥١.

[٨] – نفسه، ص ٣٦.

[٩] – الغبريني، المصدر السابق، تحقيق ابن أبي شنب، ص ٢٣٦.

[١٠] – ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السينية في تأريخ الدولة المرينية، تحقيق محمد بن أبي شنب، طبع مطبعة جول كربونل، ساحة الدولة، الجزائر، ط ١٣٣٩هـ/١٩٦٠م، ص ٦.

[١١] – نفسه، ص ١٤٨ وما بعدها.

[١٢] – نفسه، ص١٥٧.

[١٣] – نفسه، ص ٢٣٢.

[١٤] – أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني ، طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، والدار التونسية للنشر بتونس، ط ١٩٨٥، ص ص ٢٨،٢٩.

[15] – Bencheneb (M) , liste des Abréviation Employées par les Auteures Arabes, Revues Africaine, publiée par la Société Historique Algérienne, Vol 61, 1920, Imprimeur libraire, Office des publication Universitaires, Ben Aknoun, Alger, Edition 1986, p p 134-138

[١٦] – ألفرد بل، "محمد بن أبي شنب فقيد العلم" ، ترجمة عائشة خمار، مقال "مجلة الثقافة"، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة، العدد ٥٣، سبتمبر-أكتوبر ١٩٧٩، الجزائر، ص ٣٥.

[١٧] – أصلها "ياشير" أو " يشّر"، كلمة بربرية تعني المخالب، نسبت المدينة إلى المصطلح، كناية عن موقعها المحصن طبيعيا، والذي سمح لها بالتصدي لكل من تسول له نفسه محاولة الاعتداء عليها أو اقتحامها، بناها زيري بن مناد الصنهاجي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م بمنطقة الكاف لخضر بجبل تيطري (بمحافظة المدية – بالجزائر)، مؤسس الدولة الزيرية الصنهاجية التي حكمت المغربين الأوسط والأدنى عقب مغادرة الفاطميين للمنطقة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، عنها: انظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣١٣ ؛ ابن الأثير أبو الحسن عبد الواحد، الكامل في التاريخ، ج ٧، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٦٧، ص ٢٧٦؛ خورشيد ابراهيم وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، "مادة آشير"، مقال لمحمد بن أبي شنب، مج ٢، مطبعة انتشارات جمعان، د.ط.ت،ص ص ٢٣٤، ٢٣٥.

[١٨] – هي مؤلف أكاديمي علمي مشهور، أنجزه كبار المستشرقين منهم فنسك، ليفي بروفنسال، رونيه باسيه وآخرون، طبعت في ليدن ما بين (١٩١٣-١٩٣٨) بأربعة مجلدات وملحق زاد عدد صفحاته عن الخمسة آلاف صفحة، لها طبعات كثيرة بلغات مختلفة، منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية، كما ترجمت إلى العربية والتركية والفارسية، نقّحت وطبعت مجددا عقب إصدارها الأول مابين ١٩١٣-١٩٣٨، سنتي ١٩٥٤، و١٩٦٠ وغيرهما، انظر: فؤاد افرام البستاني وبطرس البستاني وآخرون، المنجد في الإعلام، دار المشرق، بيروت لبنان، ط ١٩٦٩، ص ٢١١.

[19] – Benchneb (M) , Revue des Ouvrages Arabes, Edition ou Publies par les Musulmans en 1322– 1323 de hégire(1904– 1905) , Revue Africaine, vol 50 du 1906, p 276.

[20] – Ibid, p 278.

[21] – Ibid, p p 279 – 280.

[٢٢] – هو أبو العباس المقري التلمساني (ت.١٠٤١هـ /١٦٣١م) ، تولى منصب الإفتاء، بتلمسان تنقل بين المغرب والمشرق، تولى الخطابة والإمامة بجامع القرويين – بالمغرب الأقصى – له عدة مؤلفات منها " روض الآسي"، "نفخ الطيب "، "أزهار الرياض" ، "الجمان في مختصر أخبار الزمان".. إلخ، للمزيد عنه أنظر: أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، رسائل المقري – صاحب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دراسة وتحقيق: أسماء القاسمي الحسيني، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، ط١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٩٥ وما بعدها؛ أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع السابق، ص ص ٥٠٧، ٥١٢؛ البستاني وآخرون، المرجع السابق، ص٤٩٨.

[23] – Benchneb (M), Op Cit, p 289.

[٢٤] – الطاقية: غطاء الرأس من الصوف أو القطن ونحوهما، توضع منفردة أو تحت العمامة، حملت تسميات مختلفة حسب اللغات والمناطق منها: "القلنسوة" عند المشارقة، و"الشاشية" عند المغاربة، و"الطربوش" عند الأتراك والتي تتميز بكونها محددة الرأس، قال فيها ابن بطوطة:"..فإذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوته، ووضعها بين يديه، وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخاني"، حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلته– تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص١٢٢.

Benchneb (M), Origine du mot Chachya, Revue Africaine, vol 51 du 1907 , pp55–56.

[25] – Benchneb (M), « Notice sur deux Manuscrits sur les Chérifs de la Zawiya de Tameslouchet » Revue Africaine, vol 52 du 1908, pp 105– 114.

[٢٦] – ألفرد بل، المرجع السابق ص ٣٤.

صور الدكتور محمد بن أبي شنب

عن:(محمد بن أبي شنب، أمثال الجزائر والمغرب،تقديم:عبد الحميد بورايو، دار فليتس للنشر والتوزيع، المدية، الجزائر، ٢٠١٣ (صورة الغلاف)

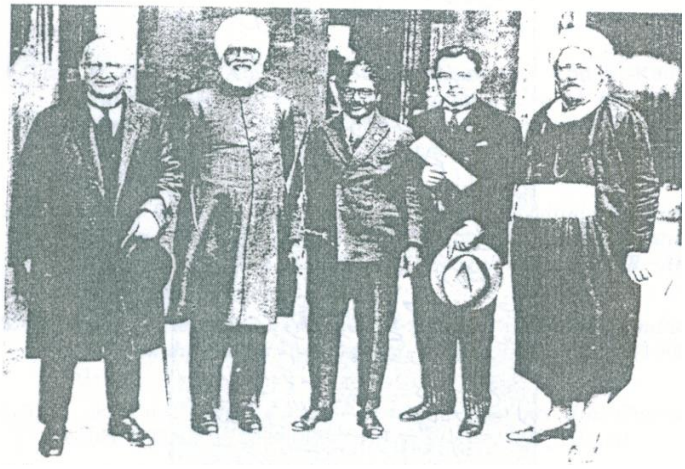

مشاركة الدكتور محمد بن أبي شنب (على يمين الصورة)في مؤتمر المستشرقين المنعقد بأكسفورد (Oxford) ببريطانيا مابين ٢٧ أوت – ٠١سبتمبر ١٩٢٨

عن: (تابليت وولد العروسي، المرجع السابق، ص٤٠٧)